الفتح الاسلامي للعراق ونشوء المدن
(مدينة واسط أنموذجاً)

م.م. عبد المطلب جبار عبدالله

المقدمة

يعد (بلاد مابين النهريين ، بلاد الرافدين، العراق)، مركز الثقل الحضاري والانساني على مر العصور وتعددت اسمائه وتنوعت الاقوام التي سكنت به واختلفت الانظمة التي حكمت فيه والسلطات التي تداولت في السيطرة عليه . فهو يتمتع بالموقع الجغرافي المهم والبيئة والمناخ المعتدلين اللذين اثرا على الطبيعة والمناخ التي جعلت منه متنوع الاراضي من منطقة الى اخرى . وكذلك تنوع المنتوجات من مكان الى اخر ذلك ان شمال العراق يختلف عن جنوبه كثيراً في اغلب النواحي تقريباً وايضاً تعدد الاقوام من منطقة الى اخرى. ولهذه الاسباب وغيرها جعلت منه مؤثراً فاعل ولاعب اساسي في التاثير بالمنطقة في كل الجوانب (الاجتماعية ، والاقتصادية ، والدينية ، والسياسية) . ومن بين تلك المحطات كان محط نظر للمسلمين فهو من اوائل البلدان التي اضاءت شمس الاسلام عليه لتضيف له فوق ماضيه المضيء وحضارته العريقة اطاراً جميلاً حتى يكون ارقى واجمل وليتوج اخيراً بتاج الاسلام ويصبح العراق مصدراً للاسلام ونشره وقد اضاف الاسلام له كثير من الانجازات واصبح من اهم البلدان الاسلامية في المنطقة ومنه انتشر الاسلام لباقي المناطق.

سيدرس هذه البحث (الفتح الاسلامي للعراق ونشوء المدن مع تسليط الضوء على مدينة واسط). سنسلط في البداية الضوء على تاريخ العراق القديم واهم الاسماء التي اطلقت عليه ثم سنعرج بعد ذلك على الفتح الاسلامي له. واهم الاضافات التي اضافها الاسلام للحضارة العراقية، ثم سندرس تاريخ مدينة

واسط فهي من المدن الاسلامية المهمة التي اضافت كثير من الانجازات للاسلام وكانت مركزاً اسلامياً مهماً.

مقدمة عامة عن تاريخ العراق

الموقع:

يقع بلاد الرافدين بين دائرتي عرض (٢٩.٥) الى (٣٧.٢٢) درجة شمالاً. وخَطي عرض (٣٨.٤٥) الى (٤٨.٤٥) شرقاً . وبهذا الموقع الاستراتيجي المهم أسهم بنشوء حضارتهُ[١].

اما حدوده الجغرافية فمن الشمال والشمال الشرقي سلسة جبلية متصلة ببلاد ايران وتركيا. ومن الشمال الغربي هضاب مرتفعة مع بلاد الشام ومن الجنوب يحده الخليج العربي ،ومن الجنوب الغربي الصحراء المفتوحة مع شبه الجزيرة العربية[٢]، يعد العراق حلقة الوصل بين قارات الشرق والغرب، اذ يتصل بقارات الشرق مباشرةٍ عن طريق البر ويتصل بقارة اسيا الصغرى من الشمال، والخليج العربي من الجنوب وبلاد الشام من الغرب[٣].

اما الاراضي الداخلية فقد كانت من أكثر الاراضي خصوبة ووفرة لوجود نهري دجلة والفرات الذين يخترقاه من الشمال الى الجنوب مكونا السهل الرسوبي ذو التربة الخصبة الصالحة للزراعة[٤]،عكست هذه الظروف والموقع الجغرافي تأثيرها المباشر على نشوء اقتصادهُ الذي كان قائماً على الزراعة وحدد نوع المحاصيل.

التسمية:

لقد تعددت التسميات التي اطلقت على العراق قبل ان يصبح اسمه (عراق) الاسم الحالي لهُ، وهناك ثلاث فرضيات في اصل الاسم هي:

الفرضية الاولى: ان الاسم من اصل عربي ولم يأخذ من لغة ثانية:
الفرضية الثانية ان الاسم من اصل فارسي معرب.
الفرضية الثالثة: ان الاسم من التراث العربي القديم:

ولكل فرضية شرح لمعنى (العراق). الاولى التي تقول انه من اصل عربي قديم وان الاسم بمعنى (الشاطىء ، الساحل، سيف البحر) وان اهل الحجاز يسمون المكان القريب من الشاطىء عراقاً، اما اصحاب الرأي القائل من اصل الفارسي ذلك ان كلمة عراق تاتي من اصل كلمة (ايراه) وتعني (الساحل)، الذي ترجمة الى (ايراق ثم عراق)،اما اصحاب الرأي القائل انه من اصل لغوي قديم من التراث العراقي القديم من اقوام قديمة سكنت العراق من اصل الكلمة (اوروك او انوك)[٦]

مقدمة عامة عن تاريخ العراق

لقد كانت بلاد الرافدين من أفضل المناطق التي عرفها العالم القديم فقد أكدت الدراسات الحديثة التي تعتمد على الآثار المادية بأنها جنة عدن ومهبط ادم وحواء . وكانت للخصوبة غير العادية لتربتها الغنية بالطمى ، مشروعات الري الضخمة ، أثرها في تمكين أهل البلد من إن يعيشوا حياة مستقرة وهانئة فهو يقع في الجزء الجنوبي الغربي من قارة أسيا ، ويتمتع بموقع استراتيجي وتجاري ذي أهمية قصوى ، وكان تأثير العوامل الجغرافية والمناخية واضحا على إفراد سكانه ، حيث الشمس محرقة والإمطار في الشتاء لفترة قصيرة ، فإفراده يعتمدون بالنسبة للماء وخصوبة الأرض على النهرين الكبيرين دجلة والفرات وكامن فيضانات الأنهار تتسم بالتقلب والقسوة وتستلم جهادا جماعيا لإقامة السدود والخزانات لدرء إخطار الفيضانات[٩].

تشير الدلائل الأثرية والجغرافية بان مناخ العراق القديم لم تطرأ عليه تبدلات أساسية منذ إن استوطن الإنسان السهل الرسوبي في جنوب العراق منذ حوالي ٧٠٠٠ سنة مضت وحتى الآن أي إن الأحوال المناخية قد استقرت بشكل أساسي منذ ذلك التاريخ أما قبل ذلك لاسيما في العصور الحجرية القديمة وقبل ما يزيد عن مليون سنة كانت أحوال المناخ وطبيعة الأرض والنبات الطبيعي تختلف اختلافاً أساسيا مما هو عليه الآن(١٠).

الفتح الاسلامي للعراق

دوافع الفتح الاسلامي للعراق:

كان للعرب صلات مع العراق قبل الفتح، إذ كانوا يغيرون على أطرافه أو يفدون إليه للتجارة أو للإقامة، وكان بعضهم مستقراً في البلاد كما هو شأن عرب الحيرة* وعين التمر** والأنبار***، وكان بعضهم الآخر ينتقل في البوادي المطلة على العراق مثل بادية البصرة، وبادية الكوفة، وكان من السهل حفر العيون والآبار في البوادي المطلة على العراق لاستخراج المياه منها وكان وجود المياه والمراعي في البادية، سبب لتحركات القبائل، وكانت القبائل تتنازع أحياناً من أجل السيطرة عليها(١٧).

وترد إشارات إلى حصول هجرات لبعض القبائل العربية نحو العراق مستغلة التخلخل السياسي، وقلة مواردها المعاشية، بالإضافة إلى حدوث سنوات قحط وجفاف داخل الجزيرة العربية وفي البادية التي تقرب من السواد قبيل الفتح العربي الاسلامي(١٨).وكانت تقوم علاقات سلمية بين البدو والحضر، تمثلت في قيام بعض الأسواق، وتقوم بعض القبائل بحماية السوق مقابل أجر مادي لعل القول المنسوب إلى رستم قبيل القادسية بشأن العرب "كنا نميرهم ولا

نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا، وقد كان لهم في ذلك معاش"[١٩].وكانت في بادية البصرة والكوفة وبادية الشام قبيل الفتح العربي الإسلامي للعراق مجموعات من القبائل منها : إياد*، وبكر بن وائل**، وتميم*** وتغلب،*** والنمر وكلب وقضاعة، وبنو أسد، فقد هاجرت قبيلة إياد نحو العراق، واستقرت في الريف بمنطقة الحيرة غرب الفرات، ما بين كربلاء وبادية البصرة، وكانت تنزل الريف من الخورنق وهو قصر للنعمان بن المنذر بناه مهندس رومي يدعى سنمار والسدير[٢٠] أما بكر بن وائل فكانت منازلها في كاظمة، والنباح وذي قار، وكانت بكر قد امتدت على أطراف الفرات الجنوبية وتنتشر ما بين الحيرة والأنبار، واستمرت في المنطقة في تزايد، حتى تحدت السلطة الساسانية في معركة ذي قار (ما بين ٦٠٤-٦١٠م) فكانت هذه المعركة نقطة انطلاق للقبائل العربية، وظلت غاراتها مستمرة حتى فتح العراق[٢١] ، وكانت قبيلة تميم في بادية البصرة، وهي من أكثر قبائل العرب أحياء، وكان بني يربوع من تميم في بادية الكوفة بوادي العذيب وأما قبيلة كلب وقضاعة فقد هاجرت جماعات منهما نحو العراق، وورد ذكرهما أثناء الفتوح في نواحي هيت وشمالي الأنبار، وكانت بنو أسد في بادية الكوفة، وبادية الشام، ويبدو أن أعداد قبيلة كلب وقضاعة وبني أسد كانت أعداد محدودة حيث لم يرد ذكر علاقات عدائية بينهما، وذلك لوجودهما في نواحي الجزيرة الفراتية وخصوبة هذه المنطقة، هو السبب في عدم اعتدائها على السواد[٢٢].

مراحل الفتح الاسلامي للعراق

المرحلة الاولى: في زمن الخليفة ابو بكر الصديق (رضي الله عنه):

سار المثنى بن حارثة* في مطاردة المرتدين(٦٣٢هـ) حتى دخل جنوب العراق، وإذا انتهت حروب الردة سار المثنى حتى قدم المدينة على أبي بكر وطلب منه التصريح بعمليات حربية بهذه الجهات فقال له : "أمرني على من قبلي من قومي أقاتل من يليني من أهل فارس وأكفيك ناحيتي"[٢٣] ، فقبل أبو بكر ذلك ورجع المثنى فجمع قواته وأخذ يغير على أسفل العراق، تارة على نواحي كسكر فيما بين دجلة والفرات وتارة على أسفل الفرات، وكان المثنى ذا نظر حربي ثاقب فحمل فكرة في الأمر. ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر بالمدينة يسأله المدد ويقول : "إن أمددتني وسمعت بذلك العرب أسرعوا إلي وأذل الله المشركين، مع أني أخبرك يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الأعاجم تخافنا وتتقينا".فما لبث أبو بكر أن نظر إلى موضوع العراق نظرة أخرى[٢٤]

فكتب إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة بعد أن فرغ من أمر مسيلمة وبني حنيفة :"أن الله فتح عليك، فسر إلى العراق وابدأ بفرج أهل السند والهند، وهي الابلة حتى تلقى عياضاً وتلقى أهل فارس ومن كان في ملكهم".وتذكر بعض الروايات أن خالد قدم المدينة ومنها وجهه أبو بكر إلى العراق. كما كتب إلى عياض بن غنم وهو بالعراض بين النباج والحجاز على بعض قوات حروب الردة "أن سر حتى تأتي المصيخ فابدأ بها ثم أدخل العراق من أعلاها وعارق حتى تلقى خالداً، وإذنا لمن شاء بالرجوع ولا تستفتحاء بمتكاره، ثم استبقا إلى الحيرة، فأيكما سبق إلى الحيرة فهو أمير على صاحبه وإذا اجتمعتما

بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس حصونها، وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن أحدكما ردءاً عوناً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من دارهم ومستقر عزم المدائن، وجالدوهم عما في أيديهم واستعينوا بالله واتقوه وأثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم ولا تؤثروا الدنيا فتسلبوها واحذروا ما حذركم االله بترك المعاصي ومعاجلة التوبة، وإياكم والإصرار وتأخير التوبة"[٢٥] ، إذن كل من خالد وعياض لمن شاء معهما بالرجوع، فرجع أهل المدينة وما حولها ونقصت قواتهما حتى لم يبق مع خالد إلا ألفان، فكتب كل منهما إلى أبي بكر رضي الله عنه يطلب المدد، فأمد أبو بكر خالداً بالقعقاع بن عمرو التميمي وأمد عياضاً بعبد بن عوف الحميري، وكتب إليه وإلى خالد : "أن استنفر من قاتل أهل الردة ومن ثبت على الإسلام بعد رسول االله صلى االله عليه وسلم ولا يغزون معكم أحد أرتد حتى أرى رأيي"فلم يشهد هذه المعارك من سبقت له ردة حتى سمح لهم في عهد عمر بذلك فيما بعد[٢٦].

المرحلة الثانية: في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنهُ)

بعد أن فرغ عمر رضي الله عنه من دفن أبي بكر حتى دعا الناس إلى التطوع لحرب الفرس مع المثنى بن حارثة، وتطوعهم لحرب العراق، واستمر على ذلك ثلاثة أيام، ولا يتطوع أحد، فقد كان قتال الفرس من أكره الوجوه إلى العرب وأثقلها عليهم، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الأمم[٢٧].فلما كان اليوم الرابع، بدأت عملية دعاية للتطوع، فقام المثنى في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال:"ايها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه. فإنّا قد تبحبحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شِقّي السواد، وشاطرناهم ونلنا منهم، واجترأ من قبلنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها" ثم قام عمر في الناس فقال:

" إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُّجعة ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك ،أين الطُّرَّاء[٢٨].المهاجرون عن موعود الله؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها، فإنه قال: "ليظهره على الدين كله" والله مظهر دينه ومعز ناصره، ومولي أهله مواريث الأمم. أين عباد الله الصالحون؟"وأحدثت هذه الصيحة المؤمنة أثرها، فصاح رجل : "أنا لها" والتفت الناس، فوجدوا أن أول من تطوع، كان أبو عبيد بن مسعود الثقفي، ثم قام سعد بن عبيد الأنصاري، حليف بني فزارة فقال: "أنا لها"، وذلك لفعلة فعلها، أراد أن يتقرب إلى الله ويكفر عنها،ثم كان ثالث من تطوع سليط بن قيس، ثم تتابع الناس على ذلك، حتى اجتمع ألف رجل من المدينة وما حولها أكثرهم من ثقيف قوم أبي عبيد، ومن الأنصار أوسهم وخزرجهم[٢٩]، اجتمع لعمر ألف من المتطوعين، وبقي ان يختار القائد، ونعجب هنا من عدم توليته المثنى، وقد استعمله أبو بكر على من خلف خالد بالعراق، وقد كانت وصيته قبل وفاته إلى عمر أن يندب الناس مع المثنى، قيل لعمر: "أمر عليهم رجلاً له صحبة من السابقين، من المهاجرين والأنصار" ولكن عمر كان شديد التأثر من امتناعهم أول الأمر عن التطوع. قال: "لا والله لا أفعل... يا أصحاب النبي لا أندبكم فتتكلون، وينتدب غيركم فأؤمركم عليهم... إن الله إنما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو، فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء، فأولى بالرياسة منكم من سبق إلى الدفع وأجاب إلى الدعاء، فإذا فعل فعلهم قوم واثاقلوا، كان الذين ينفرون خفافاً وثقالاً أولى بها منهم، والله لا أؤمر عليهم إلا ولهم انتداباً." ثم دعا أبا عبيد وسليطاً وسعداً، فقال لسليط وسعد: "أما أنكما لو سبقتماه لوليتكما ولأ دركتما بها ما لكما من القدمة." فأمر أبا عبيد على الجيش ولم يكن أبو عبيد بن مسعود من

الصحابة، فدعاه عمر فوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً. وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يستشير سليط بن قيس فإنه رجل باشر الحروب، وكان جيش أبي مسعود سبعة آلاف[٣٠]، وأرسل عمر جرير بن عبد الله البجلي في أربعة آلاف إلى العراق، وأمر أبا عبيدة بإعادة جيش العراق من الشام إلى العراق فأرسل أبو عبيدة جيشاً يقدر بعشرة آلاف عليهم هاشم بن عتبة فلما وصلت جيوش المسلمين وجدت الفرس مضطربين في ملكهم فاستقر أمرهم بأن ملكوا بوران بنت كسرى بعدما قتلوا (ازرميدخت) وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجل منهم يقال له (رستم بن فرخذاد) على أن يقوم بالحرب ثم يصير الملك إلى آل كسرى فقبل ذلك[٣٠].

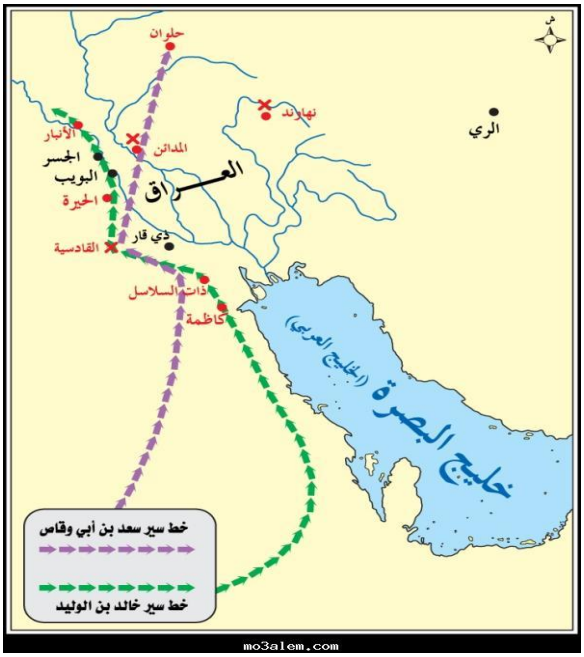

مسار الجيش الاسلامي لفتح العراق

أهم المعارك التي خاضها القادة المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب

اولاً: معركة النمارق: سنة ١٣هـ/٦٣٤م (قرب الكوفة بين القادسية والحيرة):

وقعت بين المسلمين بقيادة أبي عبيد بن مسعود الثقفي وكان على الخيل المثنى بن حارثة، وكان المثنى يلحظ كل ما يحدث لدى الفرس، فبادر إلى سحب مسالحه من جميع أرض العراق وضم إليه جنده، وتعجل جابان فكان أول من ثار بفرات بادقلي، ونزل في جنده موقعاً متقدماً في النمارق بين الحيرة والقادسية، فأنتصر المسلمين على الفرس واسر قادة الفرس بالمعركة (جابان ، ومردانشاه) فأما مردانشاه فقد قتله من أسره وأما جابان فالذي أسره مطر ابن فضة التيمي، وقد أمنه هذا وأخذه المسلمون إلى أبي عبيد، أطلق سراحه[٣١].

ثانياً: معركة كسكر: (قرب السقاطية) ١٢شعبان ١٣هـ/٦٣٤م:

اتجهت الفلول الهاربة على غير انتظام من النمارق نحو كسكر لتلجأ إلى نَرْسي. فأرسل أبو عبيد فرسانه من بني شيبان وبني تميم يقودها المثنى لمطارتهم فيما بين النمارق إلى بارق وإلى درتا وقال لهم: " اتبعوهم حتىتدخلوهم عسكر نرسي أو تبيدوهم"انطلقت الفرسان ونادى أو عبيد في سائر الجيش بالرحيل في اثرها نحو كسكر.وكان نرسي مرابطاً جنوب كسكر والمسلمون بنفس تعبئتهم التي قاتلوا بها جابان.المثنى على المجردة، انتهت المعركة بهزيمة الفلول الهاربة وانتصار المسلمين.[٣٢]

ثالثاً:معركة باقسياثا ١٧شعبان ١٣هـ/٦٣٤م:

خرج أبو عبيد من السقاطية نحو باروسما، فبلغه مسير جالنوس، وقد اجتمعت إليه فلول جابان. لقد كان مكلفاً أن يدرك نرسي قبل المعركة، غير أنها كانت أسرع منه فلم يدركها، ولم يدع له أبو عبيد فرصة الوصول إلى

كسكر إذ زاحفه ،فنزل جالنوس في باقسياثا من أرض باروسما والتقوا، أبا عبيد في جيش المسلمين المنتصر في النمارق والسقاطية، وجالنوس في جيش ضم أعداداً كبيرة من الفلول المنهزمة من المعركتين، وقلما يفلح مهزوم فقد معنويته. حالة كهذه كانت تستلزم من المجوس استبعاد العناصر التي منيت بالهزيمة من قبل قرات ومرات، ودارت المعركة، فانتصر المسلمون، وعمد جالنوس إلى الفرار، وأقام أبو عبيد في قرية من قرى باروسما، وقد غلب على تلك البلاد(٣٣).

رابعا:معركة الجسر ١٣هـ/٦٣٤م :

جرت هذه المعركة قرب الحيرة على شاطئ الفرات الغربي قربالكوفة في شهر شعبان سنة ١٣هـ/٦٣٤م.إن النجاح الذي أحرزه أبو عبيد في حركاته نبه الفرس إلى الأخطار التي تواجههم من تقدم العرب بقوة كبيرة قادرة على الأندفاع والهيمنة على البلاد، فقاموا باستعدادات لصدها بالرغم من الأحوال المضطربة في عاصمتهم في المدائن، والخلافات التي كانت بينهم على ولاية العرش لقد جهز الفرس كل قوتهم وللاسف لقد كان قتالاً حامياً انتصر فيه الفرس، وفقد المسلمون عدداً كبيراً من القتلى يذكر خليفة أنهم ألف وثمانمائة ويذكر الطبري أنه أربعة آلاف أي قرابة ثلث القوة الإسلامية، وهو في كل حال، عدد كبير حتى بمقارنته بقتلى المعارك الكبرى(٣٤).

خامساً: أليس الصغرى ٢٤شعبان ١٣هـ/ ٦٣٤م

خرج جابان ومعه مردانشاه الخصي في بعض خيلهم، وظنهم بالمسلمين أنهم منفضون وأن شوكتهم قد انكسرت. ويبدو أنهم كانوا في نزهة أو نحوها، فلم يعلموا بالرجوع المفاجئ (لبهمن جاذويه)، وأتت عيون المثنى تخبره بذلك،

فاستخلف على المسلمين عاصم بن عمرو وخرج في تجريده خيل – وبه من خراج المروحة ما به –وانطلق يطوي المسافة تجاه البقعة التي أخبر عنها من أليس. ورأى مردانشاه وجابان خيل المثنى وهي مسرعة، فظناهم هاربين من فلول المروحة، واعترضا طريق المثنى وهو يريدهم فأخذهما أسيرين وأخذ من معهما أسرى. وقال لهما المثنى : "أنتما غررتما أميرنا وكذبتماه واستفززتماه" وضرب عنقيهما. وكان أهل أليس قد تواطؤوا مع المثنى عليهم وعقد لهم بها ذمة. ثم أخذ الأسرى فضرب أعناقهم ورجع إلى عسكره. وكان أبو محجن الثقفي من الفرسان الذين خرجوا مع المثنى ولكنه انصرف من أليس ولم يرجع معه(٣٥).

سادساُ: موقعة البويب : رمضان ١٤هـ/٦٣٥م

إن انكسار المسلمين في موقعة الجسر لم يثنِ الخليفة عمر بن الخطاب عن اهتمامه بجبهة العراق والعمل على مقاتلة الفرس، فقام باستعدادات ضخمة للحرب، فأقبلت قبائل العرب متحمسين من كل صوب وحدب، وحضر المحنف بن سليم زعيم قبيلة الأزد ومعه سبعمائة فارس وجاء ألف رجل من بني تميم في صحبة حصين بن معبد، كما جاء عدي بن حاتم الطائي بجمع غفير وكذلك جاءت حشود عظيمة من قبيلة رباب وبني كنانة وخثعم وبني حنظلة وبني الضبة كل منهم مع شيوخهم، وعم الحماس لدرجة أن زعيمي نمر وتغلب وكانا نصرانيين جاءا إلى عمر وقالوا : "المواجهة اليوم بين العرب والعجم، ونحن نريد أن نشارك القوم في هذه المعركة القومية" وكان مع هذين الزعيمين آلاف من رجال قبيلتهما، وكانوا متشوقين لقتال العجم(٣٦).انتهت المعركة بهزيمة الفرس وهروب الباقين ومقتل قائدهم(٣٧).

المعركة الكبرى

معركة القادسية

سنة في شهر محرم ١٤هـ/ ٦٣٥م.

أن القادسية تقع على قمة قائمة المعارك الحاسمة في تاريخ العالم، فهي التي انفتحت على آثارها أبواب العراق، ومن وراء العراق فارس كلها، وهي التي من عندها استطرد نصر المسلمين، فاستطرد معه السقوط الساساني من الناحيتين الحربية والسياسة، والسقوط المجوسي من الناحية الدينية والعقائدية، ومن هنا انساح دين الإسلام في العالم شرقاً وغرباً ، ولولا ذلك لظل محصوراً في جزيرة العرب لا يتعدى القبائل الضاربة في صحاريها وحواضرها القليلة. كان الإسلام جديداً، فهو ما زال في فتوته، فإن لم يكسب المسلمون إنجازاتهم حينذاك، ودينهم حي في قلوبهم يصرف أعمالهم لأدرك أمتهم الهرم والشيخوخة، ولظلت السيطرة على العالم لجيرانهم من الفرس والروم من دونهم، ولأمكن حينذاك –ولو من الناحية التصورية البحتة للتاريخ– أن ينحسر ظل الإسلام فيضمر حيث حصره أصحابه، لولا أن الإسلام يفرض على المسلمين مجاهدة أعدائهم ومناجزتهم حتى يتم النصر عليهم[٣٨].في القادسية كسر المسلمون شوكة المجوس كسراً لم ينجبر بعدها أبداً ، فيها ألقى الفرس بكل طاقاتهم من سلاح وعتاد وأفيال كثيرة، وأعداد ضخمة من الجند، وبقيادة تمثلت في أحكم رجالهم وأشهرهم في الحرب والسياسة، وألقى المسلمون أيضاً بكل إمكانياتهم من وجوه المسلمين وبقيادة تمثلت في صحابي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وواحد من السابقين الأوائل في الإسلام سعد بن أبي وقاص، كما نزلوا إلى مواجهة أعداد الفرس وأفيالهم وعدتهم بسلاحهم الذي اختصوا به على عدوهم،

أزال انتصار العرب في معركة البويب بعض آثار نكسة الجسر، إذ دحروا فيها قوات فارسية مرسلة من المدائن وليس من القوات المحلية، وكان لهذا الأنتصار أثر معنوي كبير، ولا بد أنه شجع العرب على الصمود والثبات، كما عزز ثقة الخليفة عمر بن الخطاب بنجاح خطته في العمل على ضم العراق إلى الدولة الإسلامية.(٣٩)

اثر الاسلام في تأسيس مدينة واسط

ان للفتح الاسلامي اثره البالغ في المجتمع العراقي على كافة الاصعدة والمجالات وتأسيس المدن ونشوء العمارة وكانت للعمارة الاسلامية اساليب وطرز مختلفة اثرت في شتى انواع العمارة (المدنية ، العسكرية ، الدينية)، وقد اختار الباحث مدينة (واسط) نموذجاً للدراسة كونها لم تكن موجودة اصلاً وان المسلمون هم من اسسوا هذه المدينة..

تأسيس المدينة:

بعد ان اختار الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي اميراً على العراق والمشرق الاسلامي في سنة (٧٥ هـ / ٦٩٤ م) اعادة بذلك النظام والاستقرار في العراق(٤٠).

ويرى الباحثين ان هناك سببين اساسيين لتأسيس المدينة . أولاً: كثرة الثورات والانتفاضات عليه في البصرة والكوفة وتنقله بينهما ادى ذلك الى تفكيرهُ ببناء مدينة تكون مقرا لادارة ولايته الواسعة يطمئن بها على نفسه واعوانه ، ويجمع فيها العناصر المواليه له وفي مقدمتها العناصر الشامية ، ليتمكن من اخماد كل ثورة تقوم عليه في المستقبل فقد ذكر بحشل " وليّ عبدالملك بن مروان الحجاج العراق فأقام بالكوفة ، ثم انحدر الى البصرة فأقام بها سنة فقال

: أتخذ مدينة بين المصرين اكون بالقرب منهما ، اخاف ان يحدث في احد المصرين حدث وانا في المصر الاخر فمر بواسط القصب فأعجبته ، فقال : هذا وسط المصرين" [٤١].ثانياً: هناك سبب اخر عند الحجاج كما يرى الباحثين دعا الحجاج لبناء مدينة واسط يتمثل في رغبة الحجاج تجنب الاحتكاك بين جند الشام وسكان المدن العراقية (البصرة والكوفة)[٤٢].

اختيار الموقع:

من اهم اسباب اختيار موقع واسط الجغرافي الممتاز فهي تقع على نهر دجلة من جهة وتتوسط بين الكوفة والبصرة والمدائن والاحواز من جهة اخرى ، اذا تقع على طرق التجارة النهرية والطرق البرية التي تجعل من المدينة ذات مركز تجاري مرموق بالاضافة الى الاراضي الزراعية الخصبة المحيطة بها[٤٣].

كما ان اختيار موقع مدينة واسط جاء بعد بحث وتدقيق واسعين ، فقد ذكر ياقوت الحموي (٥٧٤ – ٦٢٦ هـ) ان الحجاج قال لرجل ممن يثق بعقله : " امض وابتغ لي موضعا في كرش من الارض ابن فيها مدينة وليكن على نهر جارٍ ، فأقبل ملتمسا ذلك حتى سار الى قرية فوق واسط بقليل يقال لها واسط القصب ، فبات بها واستطاب ليلها واستعذب انهارها ، واستمرأ طعامها وشرابها فكتب الى الحجاج بالخبر ومدح له الموضع ، فكتب اليه : اشترِ لي موضعاً ابني فيه مدينة [٤٤] واشترى الحجاج موقع المدينة من صاحبها وهو احد دهاقين الفرس من (داوردان) بعشرة الاف درهم ، ووعد بأن يرعى جواره ويقضي ذمامه ويحسن اليه [٤٥] .

التسمية:

اما عن سبب تسميتها بهذا الاسم ، فقيل سميت واسطاً لان الموضع الذي اختاره الحجاج لبناء مدينتهِ كان يسمى واسط القصب فسميت نسبة لذلك[٤٦] ، وذكر البلاذري (٢٥٦-٢٧٩هـ) : ان ارضها كانت ارض قصب لذلك سميت واسط القصب [٤٧] ، اما ياقوت الحموي (٦٢٣ هـ)فيذكر في معجمه ، سميت واسطاً لان موقعها وسط بين البصرة والكوفة والاحواز فهي تبعد بمقدار خمسين فرسخاً [٤٨].

تاريخ المدينة

اختلفت الاراء في تحديد السنة المضبوطة لبناء المدينة وتعددت فمنهم من يرى انها تأسست سنة (٨٦ هـ / ٧٠٥ م) أي في اواخر حكم " الخليفة عبدالملك بن مروان الذي استأذنه الحجاج في انشاء المدينة "[٤٩]" .ومنهم من يرى ان بناء مدينة واسط سنة(٨٣ هـ / ٧٠٢ م) معززين الرأي بما وصلنا من مسكوكات فضية دراهم مضروبة بمدينة واسط حيث تعتبر المسكوكات وثائق اساسية ومهمة جداً يعتمد عليها في تتبع مسيرة التاريخ وفك الاشكالات والتداخلات التي يقع فيها كُتابه[٥٠]. كما ويحتفظ بدرهم اخر من ضرب سنة(٨٤هـ / ٧٠٣م)[٥٢]

لقد كان الدافع الاول لبناء الحجاج مدينة واسط هو الدافع العسكري ، لكن في الوقت ذاته لم يغفل الحجاج الجوانب الاخرى حيث عمل على ان يكون موقعها ملائما من النواحي السياسية والاقتصادية والصحية[٥٣] ويتحدد ذلك من طريقة البناء وتصميم المدينة ومداخلها.

شهدت مدينة واسط في عهد اميرها الحجاج نموا وازدهارا سريعين واقبل الناس على سكناها ، وقد وضع هذا الامير قوانين صارمة للمحافظة على

جمالها.فمن حيث الموقع الجغرافي تعد واسط جسراً يربط ما بين المشرق واواسط اسيا والصين من جهة وبلاد الحجاز والشام من الجهة اخرى(٥٣).

فمن الناحية السياسية فقد كانت المدينة مركزا لادارة العراق والمشرق الاسلامي وكان الامير فيها يشرف على ادارة جميع المقاطعات في المشرق والعراق ، وبما ان هذه المقاطعات كانت تتبع واسطاً سياسياً فقد ادى ذلك الى شهرة المدينة في تلك المقاطعات ومن ثم زادت الثقة بتجارتها ، كما ان اهتمام الحجاج وخلفائه من بعده بأمر المسكوكات واتخاذهِ داراً للضرب فيها قد زاد بلا ادنى ريب من اهميتها(٥٤)

ومن الجدير بالذكر انه لا المؤرخين ولا المنقبين الاثاريين تمكنوا من تحديد مكان دار الضرب فيها وعليه فقد جرت عادة الباحثين في هذا المجال ان يضعوا مكانها قرب دار الامارة حالها حال بيت المال لما يحتويانه من معدن ثمينة واموال لتوفير الحماية الكافية لهما(٥٥).

كما اولى الحجاج الناحية الصناعية اهتماما اذ انه " انزل الخرازين والروزجاريين والصناع من درب الخرازين وعن يسار السوق الى دجلة " ا(٥٦). وعليه يمكن القول ان ارتفاع مستوى المعيشة وزيادة الترف في واسط ادى الى زيادة الطلب على المواد الاستهلاكية الضرورية منها والكمالية ، فأدى هذا الى قيام صناعات فيها ونموها وذلك لسد حاجة السكان من السلع الاستهلاكية(٥٧). ومن ابرز الصناعات التي قامت بهذه المدينة ، (صناعة النسيج، وصناعة الخزف والفخار ، اضافة الى وجود صناعات مختلفة اخرى مثل – الحدادة ، والنجارة ، والصياغة ، وصناعة الاسفاط ،والحصر)(٥٨).وهكذا وصلت واسط الى المكانة المرموقة التي ارادها لها احدهم قائلا ((واسط جنة بين حماة وكنة

... البصرة والكوفة يحسدانها ودجلة والفرات يتجاذبان بأفاضة الخير عليها)) [٥٩] .ولقد قُدر لهذه المدينة ان تلعب دوراً حضارياً وسياسياً كبيراً في تاريخ العراق حيث اصبحت لفترة طويلة من الزمن مركزاً اقتصادياً مهماً ، وانجبت العديد من اعلام الحركة العلمية في العراق .

الا ان هذه الاهمية تضاءلت نسبياً بعد انشاء مدينة السلام ، وان احتفظت بمركزها التجاري لعدة قرون [٦٠] ، وظلت كذلك حتى افل نجمها بسبب تعرضها للغارات الخارجية وتحول مجرى نهر دجلة الغربي عنها الى مجراه الشرقي الحالي في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) حيث هجرها سكانها ، وتحولت بعد ذلك الى انقاض وبقايا خرائب لا تزال اثارها ماثلة حتى الان[٦١] .

ملخص واسط

مدينة واسط والتي شيدها الحجاج بن يوسف الثقفي في الربع الاخير من القرن الاول الهجري من عام ٨٣ الى ٨٦ كما جاء في البلاذي، وتقع مدينة واسط على جانبي النهر، وقبل بناء الحجاج لها كانت قد سكنت من الجانب الشرقي فقط وتدعى بكسكر، واستحدث الحجاج مقره قبالتها على شاطئ دجلة من جهة الغرب حيث عاش العرب وحدهم ثم سمح بعد موت الحجاج لغيرهم بالسكنى فيه واختلط العجم والعرب بمرور الزمن وأتحد الشطران الشرقي والغربي تدريجياً فكان منها مدينة واحدة يسكن فيها أناس ذو مصالح اقتصادية وسياسية مشتركة وتعد في حينها من المدن ذات الاهمية العسكرية وجاءت تلك الأهمية لكونها قاعدة الجيوش العربية والتي امتدت احدى عشر قرناً، فمدينة واسط لاتقل اهميتها عن الكوفه والبصرة في ارساء قواعد الحكم العربي ولها الفخر في تعريب الدواوين وتعريب النقود وسكها على الطراز العربي.

الملخص

ان للاسلام الفضل الاول والاكبر للنور الذي اضاء العراق . فقد قدم الاسلام للعراق حضارة عملاقة مكنتهً من ان يبقى مستمراً في الحياة لليوم وامكنهُ ان يكون من اول البلدان المسلمة المؤثرة في العالم الاسلامي. اذ انه نقل العراق من ظلمات الفرس والتخلف والجاهلية الى نور العرب المسلمين وحضارتهم وتطورهم... كما انه اسهم في تطور العمارة وتوسع المدن وايضاً انشاء المدن يشير وبشكل واضح الى ازدياد عدد المسلمين ومن اهم المدن الاسلامية التي نشأت وتطورت في العصر الاسلامي وتحديداً فترة الدولة الاموية هي بناء مدينة واسط حتى اصبحت اهم المدن الاسلامية في ذلك الوقت كما ذكرنا في البحث..

Summary

Islam has the first and greatest credit for the light that illuminated Iraq. Islam provided Iraq with a giant civilization that enabled it to remain alive in the day and could be one of the first influential Muslim countries in the Islamic world. As it moved Iraq from the darkness of the Persians, backwardness and ignorance to the light of the Arab Muslims and their civilization and development ... He also contributed to the development of architecture and the expansion of cities and also the construction of cities clearly indicates the increasing number of Muslims and the most important Islamic cities that developed and developed in the Islamic era, Is the construction of the city of Wasit until it became the most important Islamic cities at the time as we mentioned in the research

الهوامش

القرآن الكريم

- ابن أعثم، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ) الفتوح، تحقيق: محامد علي العباسي، ، ٣ج، حيدر أباد، الداكن (١٩٧١)،ص٧٠.
- ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد الهمداني – ت (٣٤٠هـ) ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن،(١٨٨٥) ،ص ١٦١ – ١٦٢ .
- ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمداني (توفي سنة ٢٩٠هـ) مختصر كتاب البلدان،تحقيق دي غويه، مطبعة بريل، ليدن ١٣٠٢هـ، أوفست مكتبة المثنى، بغداد،ص١٦١.
- ابن عبدالحق ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبدالحق البغدادي ت(٧٣٩هـ) ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، ج ٣ ، ط ١ ، القاهرة،(١٩٥٤ – ١٩٥٥)، ص ١٤١٩ .
- ابن عبدربه ، ابي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، ج٥ ، الترجمة والنشر ،القاهرة ،(١٩٤٤) ،ص٤٦ .
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ج،٦
- بحشل ، أسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحشل ت(٢٩٢هـ) ،تاريخ واسط : تحقيق: كوركيس عواد ، بغداد(١٩٦٧)،ص٤٣.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) ،أنساب الأشراف، ج،٤، بغداد،(١٩٧١) ،ص٣٩٨.

- البيروني، محمد بن أحمد توفي سنة(٤٤٠هـ) م، الاثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق ، Sachau C. Eduard ليبسيك (١٩٢٣)، ص٧٥٦.
- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ،ج٣،مكتبة القدس (١٣٦٨ هـ)، ص ٢٣٣ .
- الترمذي، محمد بن عيسى ت(٢٧٩هـ) ، سنن الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت(١٩٧٨)،ص٢٤٣.
- دلو ، برهان الدين ، حضارات مصر والعراق ، التاريخ الاقتصادي – الاجتماعي – الثقافي – والسياسي ، ط١ ،(بيروت ، ١٩٨٩) ، ص١٨٨ .
- الذهبي ، شمس الدين ابي عبدالله الذهبي (ت ٧٤٦ هـ) ، دول الاسلام ، ط١ ، مطبعة حيدر اباد سنة (١٣٣٧هـ)،ص٤١
- رضا جواد الهاشمي ،"الملاحة النهرية في بلاد وادي الرافدين"، مجلة سومر ،ع٣٧، بغداد ،(١٩٩٨)،ص٣٦.
- ريا محسن عبد الرزاق الحاج يونس، فجر الحضارة السومرية في ضوء اختام عصري الوركاء وجمدة نصر ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، بغداد، (١٩٩٨)،ص ٤٠ .
- السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ط٣، مطبعة المدني ،القاهرة ،(١٩٦٤)،ص ٢١٥ .
- صادق ، هشام علي ، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ،(بيروت ، ١٩٨٢) ، ص٣٢٥

- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم، ج ١٠، القاهرة،(١٩٧٠)،ص٤٧٨.
- طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج١،ط١، بغداد، (١٩٨٦)،ص٢٢.
- عبد القادر ، الشيخلي ، تاريخ العراق القديم ، بغداد ،(١٩٩٥) ، ص٤٥ .
- العبودي ،عباس ، شريعة حمو رابي ، دراسة مقارنة مع التشريعات القديمة والحديثة ، ، ط٢ ، عمان ،(٢٠١٠) .
- العميد ،طاهر مظفر، تخطيط المدن الاسلامية ، بغداد،(١٩٨٦)، ص٣٠٩ .
- الغازي ، إبراهيم ، تاريخ القانون في وادي الرافدين والدولة الرومانية ، بغداد ، (١٩٧٣) .
- الغزالي ، علي كسار غدير، تاريخ وحضارة بلاد وادي الرافدين من اقدم العصور حتى نهاية الإمبراطورية الأكدية ، النجف الاشرف ،(٢٠٠٩) .
- فتوح البلدان، تحقيق:صلاح الدين المنجد، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،(١٩٥٦) .
- لقد تم التنقيب العلمي لمدينة واسط من قبل مديرية الاثار القديمة العامة في العراق في خريف سنة ١٩٣٦م واستمر حتى سنة ١٩٤٢م ونشرت نتائج الموسم السادس للتنقيب في هذه المدينة من قبل :لاستاذ فؤاد سفر في كتابه واسط الموسم السادس للتنقيب .

- مسكوني : يوسف ، "الصناعة والتجارة في واسط" ، مجلة سومر ، مج٥ ج٢ سنة (١٩٤٩)،ص ٣٠٥ .
- المعاضيدي ، عبدالقادر،واسط في العصر الاموي، ط١، بغداد،(١٩٧٦) ص٨٥ .
- المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ألّف الكتاب سنة٣٧٥هـ، تحقيق دي غويه، لندن (١٩٠٦) ،بيروت. ص.١١
- اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب ، ت(٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)، البلدان ، ليدن(١٨٩٢) .
- يوسف محمد سلطان، واخرون، جغرافية النقل والتجارة الدولية، جامعة البصرة،(١٩٨٨).
- الحيرة :هي مدينة تاريخية قديمة تقع في جنوب وسط العراق وهي عاصمة المناذرة وقاعدة ملكهم، تقع أنقاضها على مسافة ٧ كيلومترات إلى الجنوب الشرقي من مدينتي النجف والكوفة اللتان بفعل الزحف العمراني أصبحتا متلاصقتين، وتمتد الأنقاض من قرب "مطار النجف" حتى "ناحية الحيرة" التابعة لقضاء المناذرة (أبوصخير) ولا تزال ناحية الحيرة التي تشكل جزءا من مدينة الحيرة القديمة مأهولة بالسكان. كانت الحيرة وجنوب العراق بشكل عام يطلق عليهم عربستان تحت الحكم الفارسي الساساني.
- عين تمر : وهي مدينة عراقية تقع في محافظة كربلاء في العراق وتبعد مسافة ٤٠ كم غربي مدينة كربلاء. قال عنها ياقوت الحموي

صاحب معجم البلدان . بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا منهما يُجلَب القسب والتمر إلى سائر البلاد وهو بها كثير جداً وهي على طرف البرية وهي قديمة افتتحها المسلمون في أيام الخليفة أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢ للهجرة.

- الانبار : هي محافظة عراقية تقع في غرب العراق. تعد من أكبر محافظات العراق مساحة حيث تشكل ما يعادل الثلث (٣/١) من مساحة العراق. تبلغ مساحتها ١٣٨،٥٠٠ كم مربع، ويبلغ إجمالي عدد سكانها ١ مليون و٦٠٠ ألف نسمة (احصاء ١٢ يناير ٢٠١٤).
- قبيلة إياد : هي إحدى قبائل العرب كانت تسكن تهامة فحاربتهم قبائل مضر وربيعة فأجلتهم عن جزيرة العرب إلى العراق، وتخلف منهم في الجزيرة العربية قبيلة النخع وقبيلة ثقيف على قول بعض النسابين.
- قبيلة بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، من أشهر قبائل ربيعة على الإطلاق في العصر الجاهلي وصدر الإسلام وفي عصور الخلافة الأموية والعباسية، وتعد من أكبر القبائل العربية عدداً وعدة. وهم أبناء عمومة تغلب وأحد طرفي حرب البسوس.
- تميم : هي قبيلة عربية تسكن في الدهناء وشمال إقليم نجد واليمامة في السعودية وهي موطنها الأصلي، كما تتواجد في العراق والكويت وقطر والبحرين.
- تغلب بن وائل قبيلة من ربيعة من عدنان، اشتركت بحرب البسوس ضد بني شيبان من نسل إخوتهم قبيلة بني بكر بن وائل، وإليها ينتمي

كليب بن ربيعة وأخوه أبو ليلى المهلهل عدي بن ربيعة وشاعر المعلقة عمرو بن كلثوم.

- لمثنى بن حارثة الشيباني البكري توفي سنة (٦٣٥ م – ١٤ هـ) تابعي رغم لقائه بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه كان مشركاً ولم يلتق به وهو مسلم، أسلم سنة تسع للهجرة، كلفه الخليفة أبو بكر الصديق بقتال الفرس مع قومه قبل بعث خالد بن الوليد إلى العراق.
- مسعود بن الأسود صحابي جليل، هو مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب، وأمه هي العجماء بنت عامر، شهد غزوة مؤتة واستشهد فيها سنة ٨ هـ.
- يحتفظ المتحف العراقي بدرهم فضي مضروب بواسط سنة(٨٣ هـ / ٧٠٢ م)

- المثنى بن حارثة الشيباني البكري توفي سنة (٦٣٥ م – ١٤ هـ) تابعي رغم لقائه بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه كان مشركاً ولم يلتق به وهو مسلم، أسلم سنة تسع للهجرة، كلفه الخليفة أبو بكر الصديق بقتال الفرس مع قومه قبل بعث خالد بن الوليد إلى العراق.
- مسعود بن الأسود صحابي جليل، هو مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب، وأمه هي العجماء بنت عامر، شهد غزوة مؤتة واستشهد فيها سنة ٨ هـ.

Jacobsen,"the Sumerian King List Assyriolocal Studies",(AS-11) ,chcago, (1939) .p.124